

شعر العصبية القبلية في الدولة الأموية بين انقلاب القيم وتثبيت الحكم

The poetry of tribal fanaticism in the Umayyad state between the revolution of values and the stabilization of rule

حد مسعود لمين^{1*}، مغربي محمد رضا²¹ جامعة ميله، مخبر الدراسات التراثية جامعة قسنطينة (الجزائر)،

l.hedmessaoud@centre-univ-mila.dz

² جامعة علي كافي، تيندوف، (الجزائر)، mohamedreda.megherbi@cuniv-tindouf.dz

النشر: 2025/12/31

القبول: 2025/12/21

الاستلام: 2025/04/16

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم روافد العصبية القبلية التي اتخذها البيت الأموي كإحدى الوسائل لتثبيت أركان الدولة. حيث لم يستطع هذا البيت عريق النسب التخلص من روح الزعامة والمجد الذين كان يحياهما قبل مجيء الإسلام، فسعى جاهدا لاستعادة الحكم ولو بمخالفة تعاليم الدين الإسلامي السمح الذي ارتقى بسلوك الإنسان.

وقد اتخذ - البيت الأموي - من الشعر أداة لتثبيت الملك على حساب الكثير من القيم الأخلاقية الفاضلة، الأمر الذي أدى إلى انقلاب على مستوى القيم، تجلى في الشعر الأموي في مظاهر عديدة، كإحياء العصبية القبلية والفخر بأمجاد الجاهلية. فعاد الشعر إلى الهجاء المقذع والتعيير، والنبش فيما دفنه الإسلام من مساوئ. بل تعدى الأمر إلى الخوض في المحاذير المنهي عنها شرعا؛ حيث سعى الأمويون إلى إثارة العصبية بين القبائل الكبرى وبطونها، فاستعرت نار الهجاء ملتهبة بينها، وصار تناول ونهش الأعراس والنبش فيما دفنه الإسلام من أحقاد الجاهلية أمرا مألوفا. في مشهد لم يعتده المسلمون من قبل وبمباركة الدولة، التي دل سكوتها عن رضاها. الأمر الذي أوحى بأن لها فيه يدا طولى ومأرب أخرى.

الكلمات المفتاحية: الشعر الأموي. العصبية القبلية. الهجاء. القيم الخلقية الفاضلة. القيم الخلقية المنحطة.

Abstract:

The Umayyad house could not get rid of the spirit of leadership and glory that were alive in the dark ages; He was of high descent, with traditions striking in the depth of the dark ages. For this reason, the Umayyads strived to restore the glory days. So they deliberately violated the teachings of the tolerant religion, which elevated human behavior and higher the status of virtuous moral values. They took poetry as a tool to achieve their ambition to establish their king at the expense of virtuous morals; this led to a coup in the level of values, which was manifested in several manifestations in Umayyad poetry, as a revival of tribal nervousness and pride in the glories of jahilliya. Poetry returned to obscene satire and reprimand, and digging up disadvantages that Islam had buried. Rather, it went to delve into the prohibitions forbidden by the shari'a; where the Umayyads sought to antagonize the major tribes and its divisions, so the fire of satire raged between them, and he became eating and sniping honor,

and digging up what Islam buried from the grudges of jahilliya is a common thing. In a scene that Muslims have not seen before and with the blessing of the state, whose silence indicated her satisfaction. This revealed that it has a long hand and other interests.

Keywords: Umayyad poetry, tribal nervousness, satire, virtuous moral values, low moral values.

1. مقدمة:

ويسعى بحثنا هذا إلى مقارنة أخلاقية لشعر الفريق المخالف للقيم الدينية والروحية السائدة، هاته القيم الجديدة التي تروم زعزعة القيم النبيلة التي أرساها القرآن الكريم والسنة الشريفة وأخلاق الصحابة والتابعين، تدعو إلى حلول قيم أخرى، شعارها التحرر من كل القيود، ومن الموروث الديني الذي طالما كان عائقا للنفس من الاسترسال في البحث عن العودة للأخلاق الجاهلية، وممارستها بحرية مطلقة دون وازع ولا رادع. ومنطلقها في ذلك الانتصار للخلافة الأموية التي يعتقدون أنها صاحبة الشرعية بعد حادثة التحكيم التي استفاضت كتب التاريخ في ذكرها. على تضارب كبير بين المؤرخين. إذ يرى فريق بطلانها من وجوه عدة. في حين يرى البعض الآخر أن الاجتماع انعقد بين الصحابين الجليلين أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص. وأن الخلاف كان حول مخرجات الاتفاق بينهما.

وبعد أن كان للأدب عامة والشعر خاصة في عصر صدر الإسلام وظيفة سامية في تهذيب الأخلاق وإرشاد السلوك الإنساني لتحقيق مراد الله تعالى من استخلافه لبني آدم على هذه البسيطة، على أسس من القيم الإنسانية المتمثلة في العدل والمساواة والإخاء والمحبة والتسامح والشورى، وغيرها من تعاليم الدين السمح. ها هي وظيفة الشعر تنقلب رأسا على عقب، بعد قلب الأمويين لنظام الحكم الإسلامي من شوري ديمقراطي إلى قيصري ملكي استبدادي وراثي. حيث أصبحت العصبية القبلية التي نبذها الإسلام أحد

يعد مقتل الخليفة ذو النورين عثمان بن عفان ت الشرارة الأولى للصدامات بين آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب ت ومعارضيه. وقد كان هذا بمثابة البداية الفعلية لعودة العصبية القبلية؛ التي كان لها أثر كبير في تحول الساحة الأدبية إلى أحد أكبر ساحات الصراع في الأدب والشعر. والذين لا يقلان شأنًا عن التحارب والاقتتال، لا سيما الشعر الذي يعد مرآة الشعوب، التي ينعكس عليها ما يعتلج في صدورهم وما يعتك في محيطها من مختلف الجوانب التي تتعلق بحياة الناس؛ ومادام الشاعر هو لسان حال القبيلة والمنافع عنها، ووقع الكلمة لا يقل شأنًا عن وقع السيف، فإن الشعر بأغراضه العديدة وصوره المتنوعة يكون تعبيرًا صادق الإحساس عميق الدلالة على كل ما يجري في المجتمع.

وفي خضم الصراعات التي ميزت هاته الفترة الحساسة انقسم الشعراء إلى قسمين، محافظون على موروث النبوة والخلافة الراشدة، وهم الذين انحازوا إلى الإمام علي ت. ومثل القسم الآخر أولئك الذين تحرروا من هذا الموروث، واشتمل شعرهم على مضامين فكرية مخالفة لمضامين القسم الأول. فقد اختاروا مناصبة ابن عم النبي ﷺ العداء، وانضوا تحت لواء المعسكر الثاني، سواء بموالاتة معاوية ت، أو ممن اعتزل الفريقين وكانت لهم رؤية أخرى.

2. مفهوم العصبية القبلية:

1.1. تعريف العصبية:

لغة: العصبية اسم مشتق من الفعل الصحيح (ع ص ب). وجاء في لسان العرب: والعَصْبُ: الحَيُّ الشَّدِيد، وَعَصَبَ الشَّيْءُ يَعْصِبُهُ عَصَبًا: طَوَاهُ وَلَوَاهُ: وقيل: شَدَّهُ. والعَصَابُ والعَصَابَةُ: مَا عُصِبَ بِهِ. وَعَصَبَ رَأْسَهُ، وَعَصَبَهُ تَعْصِيًا: شَدَّهُ. وَأَسْمُ مَا شُدَّ بِهِ الْعَصَابَةُ. وَعَصَبَةُ الرَّجُلِ: بُنُوهُ وَقَرَابَتُهُ لِأَبِيهِ. وَالْعَصْبَةُ وَالْعَصَابَةُ: جَمَاعَةٌ مَا بَيْنَ الْعَشْرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ (ابن منظور، 1992، صفحة 602). وهو ما ذهب إليه الزبيدي، وأضاف قائلا: والعَصْبُ: ضَمُّ مَا تَفَرَّقَ مِنَ الشَّجَرِ بِحَيْلٍ. والعَصْبُ: شُدُّ فَخْذِي النَّاقَةِ أَوْ أَذَى مَنَعَرَهَا لِثَدِيرِ اللَّبَنِ. والعَصْبُ: الْغَزْلُ وَالْفَتْلُ. والعَصْبُ: الْقَبْضُ، وَعَصَبَ الشَّيْءُ: قَبَضَ عَلَيْهِ. والعَصْبُ: لُزُومُ الشَّيْءِ. يقال: عَصَبَ الْمَاءُ: لَزِمَهُ. وَعَصَبَهُ تَعْصِيًا: شَدَّهُ، وَأَسْمُ مَا شُدَّ بِهِ الْعَصَابَةُ (الزبيدي، 1972، صفحة 375. 380).

و ورد في تهذيب اللغة: و قال الله عزوجل: (وَتَحَنَّنْ عَصْبَةً إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (يوسف 8). وأما عَصْبَةُ الرجل فهم أولياؤه الذكور من ورثته: سُمُّوا عَصْبَةً لِأَنَّهُمْ عَصَبُوا بِنَسَبِهِ: أَي اسْتَكْفُوا بِهِ، فَالْأَبُ طَرْفُ وَالْإِبْنُ طَرْفُ وَالْعَمُّ جَانِبُ وَالْأَخُ جَانِبُ، والعرب تسمي قرابات الرجل أطرافه، ولما أحاطت به هذه القرابات وعَصَبَتْ بِنَسَبِهِ سُمُّوا عَصْبَةً (الأزهري، 1964، صفحة 48). وفي الحديث الشريف: "اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ" (مسلم، د ت، صفحة 1383). وقد كان هذا في غزوة بدر أين كان الإسلام لا زال غضا والمسلمون لا يتجاوزون الثلاثمائة ونيف .

مرتكزات الشعر في العصر الأموي؛ الذي يمثل أحد أكثر العصور ازدهاراً في نتاجه الأدبي وخاصة الشعري منه، بسبب دخول بيئات جديدة تحت راية الدولة. الأمر الذي استغله البيت الأموي في توجيه هذا النتاج الشعري إلى إحياء جذوة الحروب، وإذكاء نارها بين القبائل الموالية والمعادية له، حيث كانت لهم اليد الطولى في تشجيع الأصوات المتعالية تعصبا للقبيلة والمجاهرة بإحياء ثارات الجاهلية. كما كان أثرهم عظيم ودهاؤهم ومكرهم كبيرين في هد البناء الاجتماعي الرائع الذي بناه الإسلام، وتقسيم الأمة إلى مضرية ويمنية، نزارية وقحطانية، لتعم العصبية أطراف الدولة من أقصاها إلى أقصاها، كل ذلك من أجل إرساء قواعد ملكهم، وتثبيت خلافتهم .

إن الحديث عن التعصب يفرض أسئلة هامة تتمحور حول ماهيته، ودوافعه وتمثلاته، وموقف الإسلام منه، وكيف سعى البيت الأموي إلى جعل هذه الظاهرة الاجتماعية أحد أهم وسائله في تثبيت ملكه.

لتأتي الإجابة جلية: ما دمنا بصدد الحديث عن انقلاب القيم، فإننا نتحدث في هذه الورقة البحثية وبمقاربة أخلاقية عن إحدى القيم السلبية التي نخرت جسد الدولة الأموية، وأججت نار الصراع بين إخوة الدين الواحد والعرق الواحد، في انهزام عقلي وخواء روحي، ينمان عن فقدان لبوصلة الحياة، التي جاء الإسلام لضبطها وفق تعاليم وقوانين ربانية تضبط الأخلاق وتهذبها، بما يجعل الحياة هادئة آمنة مستقيمة، تحت مظلة قيادة رشيدة، تعمل على تحقيق العدل وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وثاقا، ثم ثنى بعد ذلك بروابط أخرى كالولاء والاستلحاق. أما أعلاها فهي رابطة العقيدة والدين.

ويلاحظ أن كل من أتى بعد ابن خلدون من الباحثين العرب متح من فكره واغترف من معينه. فالجباري ينظر للعصبية بأنها: "رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة ربطا مستمرا، يبرز ويشد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد، كأفراد أو كجماعة" (الجباري، 1992، صفحة 168). إن هاته الرابطة التي تحدث عنها الجباري لا تمثل العلاقة بين فرد وآخر من نفس الجماعة فقط، بل هي أعمق من ذلك. إنها انتماء جمعي يذوب فيه الفرد في الجماعة، فيخدمها ويذب عنها، وتبادلها الجماعة نفس الشعور، في علاقة عكسية.

وأما معجم المصطلحات العربية فقد عرف العصبية على أنها: "الرباط الذي كان يوثق الصلة بين أفراد القبيلة في الجاهلية، فلم تكن تجمعهم تحت لواء واحد فكرة الأمة العربية أو الجنس العربي" (المهندس، 1984، صفحة 246). والمتأمل في هذا المفهوم يستنتج أن العصبية ظاهرة اجتماعية تنافي الشعور القومي. ومنطلقها في ذلك التعصب للنسب والإحساس بالتفوق على الغير. ولكن يظهر شيء من الحيف في هذا التعريف إذا جعلناه صالحا لكل الأزمنة. فمن المصطلحات ما يتطور مفهومه وتمتد حدوده ليتسع أفقه، ولا شك أن هذا المصطلح ينتهي إلى هذا النوع من المصطلحات، فحاضرا لم تبق العصبية مقتصرة على مفهوم القبيلة لتتلاشى هذا النظام الاجتماعي في المنظومة الدولية الحديثة واقتصراره على بعض المجتمعات فقط.

و للجزر (ع ص ب) معان كثيرة ، غير أن ما همنا في بحثنا هو هاته المعاني التي اتفقت عليها معظم المعاجم القديمة، و التي يدور معناها العام حول الشد و الالتفاف و اللزوم.

2.2. إصطلاحا:

يضع الحد اللغوي للمصطلح في العموم ملامح المفهوم الإصطلاحي، وبناء على ما سبق فإن تعريف العصبية اصطلاحا يبقى ذا علاقة بالتعريف اللغوي. وبالعودة إلى معجم تهذيب اللغة نجد أن الأزهري لاحم بين معاني الجزر (عصب) ليكنّون مفهوما اصطلاحيا مفاده أن العصبية هي: "أَنْ يَدْعُو الرَّجُلُ إِلَى نُصْرَةِ عَصْبَتِهِ وَالتَّأَلُّبِ مَعَهُمْ عَلَى مَنْ يُنَازِلُهُمْ، ظَالِمِينَ كَانُوا أَوْ مَظْلُومِينَ" (الأزهري، 1964، صفحة 49). وهو التعريف نفسه الذي ساقه ابن منظور في لسان العرب.

وأما ابن خلدون فيعرف العصبية بأنها: "التَّعَرُّدُ* عَلَى ذَوِي الْقُرْبَى وَأَهْلِ الْأَرْحَامِ أَنْ يَتَأَلَّيْهُمْ ضَيْمٌ، أَوْ تُصِيبَهُمْ هَلَكَةٌ. فَإِنَّ الْقَرِيبَ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ غَضَبًا مِنْ ظُلْمِ قَرِيبِهِ أَوْ الْعِدَاءِ عَلَيْهِ. وَيَوَدُّ لَوْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَصِلُهُ مِنَ الْمَعَاطِبِ وَالْمَهَالِكِ نَزْعَهُ طَبِيعِيَّةً فِي الْبَشَرِ ... وذلك لِأَجْلِ اللَّحْمَةِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الْوَلَاءِ، مِثْلَ لُحْمَةِ النَّسَبِ أَوْ قَرِيبَا مِنْهَا" (ابن خلدون، 1981، صفحة 160).

إذا فالعصبية عند ابن خلدون تقوم على قوة ولحمة الجماعة. التي تمنح الفرد القدرة على المواجهة والمجابهة، إما بطلب حق أو دفع ظلم. ويربط ابن خلدون أولا العصبية ربطا وثيقا بمفهوم صلة الرحم والنسب. ولا ضير في ذلك، فقد جعل الله تعالى روابط القرابة التي تربط البشر من العرق، والدم، ورابطة النسب أشد

إن ما يؤخذ على هذا التعريف هو اقتصار الانتماء القبلي على وحدة الدم - بما أن القبيلة بنو أب واحد - في حين أن أغلب القبائل إن لم نقل كلها عرفت توسعا بانضمام ناس آخرين عن طريق آليات اجتماعية عديدة كالحلف والاستلحاق والولاء، أو عن طريق الحرب التي تجر وراءها الاسترقاق. وهكذا فقدت القبيلة وحدتها الدموية ولم تستطع المحافظة عليها (إحسان النص، 1973، صفحة 109). وهو ما ذهب إليه ابن خلدون في تعريفه للعصبية الذي ذكرناه آنفا؛ حيث يرى أن رابطة الدم غير كافية لتبرير التعصب للقبيلة.

ولا شك أن الناظر في النظام الاجتماعي عند العرب، يدرك أن هذا المفهوم كان واسعا. تمثلت سعته في قبوله انضمام أفراد للقبيلة لا ينتمون إلى أبيهم. وأن ما يجمع أبناء القبيلة لا يقتصر على روابط القرابة والنسب فقط، بل الأمر يتعدى ذلك إلى ما يعتقده الأفراد الآخرون المستلحقون بها - عن طريق الاستعراب والتبني والحلف والولاء - (الجريسي، الرياض، صفحة 27) من شعور بالانتماء لهذه القبيلة. عقيدة الانتماء هاته هي السبب الأول والأكبر في تولد شعور التلاحم، والتعاون والترابط؛ الذي يستوجب التساند والتناصر والتآزر في المغنم والمغرم. وهذا ما يدعى بالعصبية القبيلة.

1.3. موقف الإسلام من العصبية القبيلة:

كان ظهور الإسلام في الجزيرة العربية مؤذنا ليل الجاهلية بالزوال، ونجم الضلال إلى الارتحال، وإيدانا بانبلاج فجر جديد. حيث بعث الله تعالى الرسول ﷺ على فترة من الرسل بشيرا ونذيرا. مُبَيِّنًا للحق والهدى، ودالاً على صراط الله

فصار مفهوم العصبية أوسع وامتد إلى الحدود الجغرافية للبلد وللعرق والدين.

وممن تطرق للعصبية تعريفا اصطلاحيا إبراهيم سلامة في كتابه (خلق ودين)، حيث جمع آراء عديدة صبت كلها في مفاهيم ثابتة ومحددة مفادها أن العصبية هي: " التلاحم بالعصب، والالتصاق بالدم، والتكاثر بالنسل، ووفرة العدد، والتفاخر بالغلبة والقوة والتطاؤل، وقد كانت القبيلة عند العرب كما كانت عند الرومان تتضخم تتضخما صناعيا وتكثر بالأولاد والانتساب، فتشمل الآباء والأمهات، وأولاد النسب، وأولاد الانتساب من الخدم وممن يدخل تحت كنف القبيلة بالحماية أو بالحلف والجوار. هذه الكتل البشرية تنتسب إلى أصل معين، وتفتخر بهذا الأصل، وترى أنها الرأس وأن غيرها الذنب كما يقول الأدب القديم" (سلامة، 1954، صفحة 81).

3. مفهوم القبيلة:

أورد الأزهري تعريف القبيلة في معجمه (تهذيب اللغة) فقال: ... وقوله: " إِنَّهُ يَرْكُمُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ " [الأعراف27]؛ أي هو ومن كان من نسله. فأما القبيلة فمن قبائل العرب وسائرهم من الناس. أبو عبيد عن أبي زيد: القبيل: الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى وجمعه قُبُل. والقبيلة بنو أب واحد. وقال ابن الكلبي: الشعب أكثر من القبيلة. ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ" (الأزهري، 1964، صفحة 164 . 165). وقد تابعه في هذا التعريف للقبيلة أغلب المعاجم اللغوية على غرار لسان العرب، وتاج العروس، والقاموس المحيط وغيرهم.

لأسود على أبيض و لا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. كلکم لآدم و آدم من تراب" (ابن تیمیة، 2004، صفحة 196). فلو كان للنسب عند الله تعالى أدنى قيمة لما توعد أبا لهب وهو عم النبي ﷺ وأحد سادات وأشراف مكة بنار ذات لهب. و لما أعلى من شأن بلال بن رباح ؓ وقد كان عبداً يباع و يشتري حتى أعتقه أبو بكر الصديق ؓ.

من هذا المنطلق شرع الإسلام في إرساء قواعد المعاملات والتأسيس للعلاقات الاجتماعية. بدءاً بهدم العصبية القبلية ونبذها، وتحريم كل ما أدى إلى التصارع والتناحر والاقتتال بغير وجه حق. واستبدل ذلك كله بالدعوة إلى التآلف والتآخي والاتحاد. فقد قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). [آل عمران 103].

لقد شكلت العقيدة الإسلامية خصماً شديداً للمراس قويا جلداً في وجه العصبية القبلية. حيث عمل الإسلام على علاجها وتذويبها وانتشال الإنسان من براثنها، وهو الذي كان مسلوب الإرادة أمام قوة القبيلة، التي لا مناص له من الانضواء تحت لوائها، الذي يوفر له الأمن والاستقرار، وهرباً من قوانين الصحراء الجائرة، التي خولت القبيلة فرض جبروتها وأرغمت الفرد على إلغاء عقله، وجعله تبعاً لمنطق القبيلة حتى لو كانت على خطأ. ويلخص دريد بن الصمة هذا الوضع في قوله:

فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى *** غَوَايَهُمْ
وَأَنْتِي غَيْرُ مُهْتَدِي

المرتضى. وقد اقتضت الدعوة لهذا الدين الجديد القديم إحداث خلخلة على مستوى الأفكار الجاهلية. ولعل أهم هذه الأفكار فكرة العصبية القبلية التي تقنات على الفتن والحروب. وبها ترعى القبيلة سلامتها وتصون بقاءها وتزود عن كيانها ومن طريقها تلتمس لنفسها أسباب العيش في مجتمع قبلي تسوده شرعة تنازع البقاء (إحسان النص، 1973، صفحة 110)؛ الذي لا يتأتى إلا بالاقتتال. ولو كانت الحروب تقوم من أجل القصاص للدماء لأعذرت العصبية القبلية بدعوى الثأر، وهو خلق متأصل في نفس الرجل العربي. ولكن أن تقوم حرب تأتي على الأخضر واليابس بسبب سباق فرسين، أو حرب ضرورس تشب بين بني العمومة لأربعين سنة بسبب ناقة، لمعرك هذا هو عين الجهل والتعصب الأعلى للذنان يقودان إلى سفك دماء الأبرياء، لا لشيء سوى داعي الانتماء إلى القبيلة.

و للحد من هاته السلوكيات الجاهلية دعا الإسلام إلى إحداث خلخلة على مستوى أفكار الإنسان الجاهلي، فبدأ بالتذكير على أن أصل الناس جميعاً هو أب واحد و أم واحدة؛ أي لا تفاخر بين البشر مادام الأصل نفسه، وأن التفاضل إنما يكون بتقوى الله، و الابتعاد عما يشين الإنسان و يسيئ لأخيه الإنسان أيضاً، فيقول عز من قائل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات 13]. لقد أسقط القرآن الكريم كرامة النسب وأحل محلها تقوى الله تعالى. ليعزز النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى مبدأ المساواة بين الخلق و تفاضلهم بالتقوى حين قال: " لا فضل لعربي على عجمي و لا لعجمي على عربي و لا

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غُرَيْثَةٍ إِنْ غَوَتْ *** غَوِيَتْ وَإِنْ
تَرُشِدْ غُرَيْثَةٌ أُرُشِدْ

دَعَانِي أَخِي وَالْحَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ *** فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ
يَجِدْنِي بِقُعْدَرٍ (دريد بن الصمة، 1985، صفحة
62)

لقد حذر الدين الحنيف من اتباع هوى العشيرة
وموافقتها على الباطل وإعانتها على الظلم، وصور
الرسول ﷺ هذا التصرف المقيت تصويراً بالغ
التأثير بقوله: "مثل الذي يعين عشيرته على غير
الحق مثل البعير رذى في بئر فهو يمدُّ بذنبه."
(أحمد بن حنبل، 2001، صفحة 272)

وبعد أن ابتدأ الإسلام هدمَ العصبية القبلية
بإعلاء شأن العقيدة وتذكير الناس بالأصل
الواحد، وأن لا مفاضلة بين الناس إلا بالتقوى،
انتقل إلى إسقاط رابطة الدم والنسب. ونهى عن
التفاخر بالأباء والأنساب. ودعا إلى إحلال رابطة
الدين محلها، ثم نهى عن موافقة هوى العشيرة.
و بعد هذا التدرج جاءت الضربة القاصمة لهذه
الظاهرة الاجتماعية المتجذرة في أعماق الرجل
العربي بنص الحديث الشريف الذي فصل في
تحريمها، حيث يقول: «ليس منا من دعا إلى
عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس
منا من مات على عصبية» (أبو داود، 2009،
صفحة 441)، فعبرة (ليس منا) مخرجة من ملّة
الإسلام. فمن لم يك من المسلمين فلا يخرج
حاله من اثنتين، فإما بقي على جاهليته، أو ارتد
عن دينه. ويقول أيضاً: "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ،
وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ
قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصْبِيَّةٍ، أَوْ يَدْعُو
إِلَى عَصْبِيَّةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَّةً، فَقَتِلَ، فَقَتْلُهُ
جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أَمْتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا

وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى لذي
عَهْدَةٍ عَهْدَهُ، فليس مِنِّي، ولستُ منه" (مسلم، د
ت، صفحة 1476). والعمية من العى، وهي الأمر
الغيبس الذي لا يتبين فيه وجهُ الحق من الباطل.

إن الإسلام حينما جاء اشتغل على إعلاء أصرة
العقيدة، فأصبح الولاء على أساس الدين وليس
على أساس القبيلة. وحينما هاجر المهاجرون إلى
المدينة تأكدت هذه الأصرة، وذابت بطون قريش
في وصف واحد أرادته الله تعالى وهو وصف
المهاجرين، وذابت الأوس والخزرج في وصف
واحد أرادته الله تعالى وهو وصف الأنصار. وهم
الذين أثنى الله تعالى عليهم في غير ما موضع من
القرآن الكريم، إذ يقول عز من قائل: (وَالشَّاقُونَ
الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّتَ تَجْرِي تَحْتَهَا الْآَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة 100]. ولطالما أثر عن
الرسول ﷺ حثه الصحابة الكرام بل وحضهم
على نبذ العصبية وحمية الجاهلية وتركهم هذا
الخلق الذميم، حيث وصفها بالنتانة. وحذر من
أن يعكر صفو المجتمع الجديد بعض ما كان في
الجاهلية. يتجلى ذلك في الشجار الذي حصل بين
المهاجري والأنصاري في موقعة المريسيع أو بني
المصطلق لما قفل النبي ﷺ راجعا من الغزوة.
فقد ورد في الحديث أن جابر بن عبد الله قال: "كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فكسع
رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال
الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا
للمهاجرين، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول
الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار،
فقال: «دعوها، فإنها منتنة» (مسلم، د ت،

بكوا. والترم بعضهم بعضا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا (عبد الملك بن هشام، 1955، صفحة 556)، ندما على ما بدر منهم. فالنبي ﷺ كان بالمرصاد لكل محاولة توقع بين المسلمين وتفت عضدهم وتفت اتحادهم. لهذا ورد الأمر في القرآن الكريم: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران 103].

إن تنادي الصحابة الكرام - والرسول ﷺ بين ظهرانيهم - برابطة غير رابطة الإسلام أمر مرفوض؛ لأنه من بقايا الجاهلية التي جعلها النبي الأكرم ﷺ تحت قدميه، إضافة إلى أمور الجاهلية المستقبحة، كحكم الجاهلية، والتبرج، وسفك الدماء، والربا، والعرافة وغيرهم.

وما من شك في أن العصبية والظلم على علاقة وشيجة. فقد قرن الرسول ﷺ بينهما. فمن وائلة بنت الأسقع أنها سمعت أباها يقول: قلت: «يا رسول الله، ما العصبية؟ قال: أن تعين قومك على الظلم» (أبو داود، 2009، صفحة 440)، فالبشر ينطوون على طبع عدواني يشاكلون فيه بعض الضواري. ومثال ذلك التناحر والتقاتل الذي حدث بين عيس وذبيان، فالمؤكد أن أحدهما كان ظالما، والأمر نفسه بين بكر وتغلب. ومثاله كذلك حياة الصعاليك. ألم يكن دافعها الأساسي ظلم وحيف لحق بهم من كبراء القبيلة وسادتها لسبب أو لآخر، هذا الظلم دفعهم للخروج عن نظام القبيلة وسلوك حياة الصعلكة وقطع الطريق لتحصيل القوت الذي به قوام وجودهم، واجتبابا لمهلكة الجوع الذي به سبب

صفحة 1998). إن المتأمل لهذا الحديث يجد أن الأنصاري لم ينادي على الأوس أو الخزرج. وكذلك المهاجري. وهذا يدل على أن هناك أثران. أثر جديد وهو فعل النبي ﷺ والعقيدة الإسلامية في نشر المؤاخاة. وأثر قديم من بقايا أثار الجاهلية في العصبية القبلية. فالرجلان أراد كل منهما أن يفزع له التكتل الجديد كما كان الشأن مع القبيلة، وكأننا هنا أمام ظاهرة جديدة تتمثل في تداخل القيم، وما من شك في أن هذا من عمل الشيطان. لكن الرسول ﷺ كان بالمرصاد لأي محاولة تريد العودة إلى التكتلية، اللهم إلا تكتلية الإيمان.

لقد لخص النبي الكريم - وهو الذي أوتي جوامع الكلم - التعصب إلى القبيلة والعرق في جملة واحدة كافية وافية، حيث وصفها بأنها دعوى مننة خبيثة. ويتبين خبث وتنانة هذه الظاهرة الجاهلية في سعي اليهود إلى النبش في ماضي الأنصار، وإذكاء نار العداوة بين الأوس والخزرج. وهم الذين تحقق فيهم قوله تعالى: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْخَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [المائدة 64]. فقد كانوا جذوة شر، امتلأت قلوبهم حقدا على النبي ﷺ والمسلمين. ولا أدل على السوء الذي انطوت عليه أنفسهم الخبيثة من حادثة اليهودي الذي حضر أحد مجالس الأنصار، فأخذ يذكرهم ببعض الثارات القديمة والمقتلة العظيمة التي حدثت بينهم في يوم بعث حين كانوا أوسا وخزرجا، فما زال يذكرهم ويتقاولون بما كان بينهم من أشعار مهاجرة وملاحاة، حتى صاروا إلى السلاح وتواعدوا الحرة من أجل الاقتتال. فخرج إليهم النبي ﷺ فخفضهم وقال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم». ومازال يعظهم حتى

الدين فما كان منهم إلا أن أسلموا. وهكذا تم توجيه العصبية من معناها السيئ في العصر الجاهلي إلى معنى راق يصب في خدمة الإسلام.

2.3. تجلياتها وتوظيف البيت الأموي لها:

سبق وأن ردنا في ثنايا هذا البحث أن انضواء الإنسان تحت لواء قبيلة ما كفيل بسبله إرادته أمام قوتها. والأمر نفسه ينطبق على الشعراء الذين كادت شخصياتهم تذوب وتتلاشى في الشخصية القبلية الكبرى. فلا غرو إذا أن تستأثر العشيرة بشاعرها، سائرا في ركابها، يدافع عنها وينافح عن مجدها، ويلجج ببطولاتها، ويمجد مآثرها. غير أن العصر الأموي اتسم بسمات مغايرة للعصر الجاهلي، فلم يبق ولقاء الشاعر حكرا على القبيلة فقط، بل تعداها إلى الانتماء إلى أحد الأحزاب السياسية أو الفرق الدينية، ومن ثمة أصبح أغلب الشعراء يصدر عن نزعات شتى - نزعة قبلية، نزعة سياسية، أو نزعة دينية - إلا قليلا منهم ممن شذ عن هذه الانتماءات وأغلبهم ممن ارتقى في حضن حياة اللهو والعبث كعمر بن أبي ربيعة وغيره. (إحسان النص، 1973، صفحة 369)

ولا يعد هذا الحكم قطعيا، فمن شعراء العبث واللهو والمجون من لم يبرأ شعره من أثر التعصب لقومه. كذلك الأمر بالنسبة لشعراء التكسب الذين احترقوا الشعر بضاعة للبيع، فإنهم لم يستطيعوا التحرر من سلطان الانتماء القبلي. سمة أخرى وسمت هذا العصر على خلاف العصر الجاهلي، وهي أن العصبية في هذا الأخير اقتصرت على البطن أو الرهط والعشيرة. في حين أنها في العصر الأموي ارتفعت إلى القبيلة الكبرى التي تضم بطونا وعشائر كثيرة. (إحسان النص،

فنائهم. فالدافع قوي جدا وهو الحفاظ على الحياة، إلا أن الطريقة ظلم وعدوان على الغير، واعتداء على أملاكهم،

إن كل ما ذهبنا إليه من موقف الإسلام من العصبية القبلية والأخلاق الذميمة التي كانت سائدة في العصر الجاهلي لا يجب أن يجعل النظرة قاتمة لذلك العصر. فقد كان فيه من الأخلاق الكريمة والأفعال الحسنة ما جعل الله تعالى يصطفي هذا العرق بخاتمة الرسالات. فقد أثبت النبي ﷺ في قوله: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ » (أحمد بن حنبل، 2001، صفحة 513) أن هذه الأمة ذات معدن نفيس، إذا صُقل ازداد توهجا وبريقا. وأنها كلما سمت بأخلاقها وترفعت عن سفاسف الدنيا كلما تحققت لها التمكين في الأرض وقيادة الأمم الأخرى إلى بر الأمان، وكلما ركنت إلى الشهوات تسلط عليها أعداؤها.

من هنا يمكننا القول إن العصبية القبلية لم تعد بعض الجوانب الإيجابية. فمن فوائدها حماية رسول الله ﷺ في مكة من طرف قومه بني هاشم وبني عبد مناف، مسلمهم وكافرهم عصبية. فأبو طالب حوى النبي ﷺ ولم يكن على دينه. بل إنه لم يدخل الإسلام أيضا من باب العصبية بقوله: " لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك " (أحمد بن حنبل، 2001، صفحة 374). كذلك إسلام حمزة كان فلتة، فقد أسلم تعصبا لابن أخيه بعد أن ضرب أبا جهل وقال له: " أتشتمه وأنا على دينه " (عبد الملك بن هشام، 1955، صفحة 292). ثم شرح الله صدره بعد ذلك للإيمان. كذلك أسيد بن حضير في قصته مع قبيلته، وسعد بن معاذ حين قدم على قبيلته فقال: كلامكم علي حرام حتى تدخلوا في هذا

صفين، كبير الأثر في بلورة سياسة الأمويين. حيث دفعهم هذه الأحداث إلى أخذ المبادرة ومسك زمام الأمور، فعمدوا إلى أساليب عدة سعوا من خلالها لتوطيد حكمهم. ومن بين هذه الأساليب غرض الطرف عن الطعن في الأنساب، وإثارة العصبية والنعرات القبلية، وترك الحبل على الغارب لمن اعتر بقبيلته وتشرف بالانتماء إليها دون غيرها. كل ذلك لإلهاة المعارضين للحكم الأموي. (إحسان النص، 1973، صفحة 241)

ومن أكثر الأبيات التي تروى في مجال الاعتزاز بالأنساب أبيات كثير عزة. وقد تلقفها الأمويون تلقفا لتوظيفها في توطيد حكمهم، حيث يقول:

أَلَيْسَ أَبِي بِالصَّلْبِ أَمْ لَيْسَ أُسْرَتِي لِكُلِّ
هَجَّانٍ مِنْ بَنِي النَّضْرِ أَزْهَرَا

لَبِسْنَا ثِيَابَ الْعَصْبِ فَأَخْتَلَطَ السُّدَى بِنَا
وَبِهِمْ وَالْحَضْرَمِيُّ الْمُخَصَّرَا

إِذَا مَا قَطَعْنَا مِنْ قُرَيْشٍ قَرَابَةً بِأَيِّ
نَجَادٍ تَحْمِلُ السَّيْفُ مَيْسَرَا

فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِنْ بَنِي النَّضْرِ فَاتْرُكُوا أَرَاكَا
بِأَذْنَابِ الْفَوَائِجِ أَخْضَرَا (كثير عزة، 1971،
صفحة 233 _ 234)

لقد تلقف عبد الملك بن مروان القصيدة بأبياتها لما فيها من اعتزاز كثير بانتسابه لكنانة، وفيها فخر مبطن بتلاحم نسبه مع نسب البيت الأموي الحاكم. ثم إن عبد الملك لم يكتف بتلقفها، بل راح يدفع كثيرا لأن ينشدها على منابر العراق. وهو ما أثار حفيظة وغضب بطون قبيلة الأزد هناك. فتوعده بالقتل، ورد عليه الشعراء بشعر مثله. وممن رد عليه الأحوص في قصيدة مطلعها:

1973، (صفحة 273 . 274) في شكل من أشكال التحالف القبلي الذي فرضته سياسة البيت الأموي لبناء نظام مجتمع جديد قائم على التقلبات السياسية ريثما يستتب الأمر لهم. وعليه فإن ما يلاحظ على الشعر الأموي هو أن ميسم العصبية قد طبع جله، وقد يرجع السبب إلى قرب العهد بالعصر الجاهلي الأمر الذي كان له كبير الأثر في استمرار هذه الظاهرة الاجتماعية السلبية. والسبب الأكبر هم الخلفاء الذين غضوا الطرف عن هذه الممارسات الجاهلية لحاجات تصبوا إليها أنفسهم. فمن سنن الملك أن تسعى الأسر الحاكمة إلى العمل على البقاء، وتجنيد كل وسيلة في سبيل ذلك، ومن هاته الوسائل الروافد الكثيرة للعصبية القبلية، التي قدّر خلفاء بني أمية أنها تسهم في توطيد خلافتهم، ونذكر منها:

أ/ التعلق والاعتزاز بالنسب:

يعد الاعتزاز بالنسب وحرص القبائل العربية عليه وتعلقها به ورفض الانتماء إلى غيره أحد مظاهر العصبية، حتى ولو كانت القبيلة المراد الانتماء إليها شريفة الحسب، كريمة النسب، منيعة الجانب. ولعل من أشد الهجاء وقعا على النفس تعيير الرجل بقومه والطعن في نسبه. وقد يتساءل سائل: وما الدافع الذي جعل خلفاء بني أمية لا يضعون حدا لهذا التطاوع في الأنساب والاعتزاز بها؟ وما من شك في أن البيت الأموي كان يسعى كغيره من الأسر الحاكمة في الأمم الغابرة إلى إرساء حكمه، والعمل على ديمومته؟ فسار على منوالها بالبحث عن سبل البقاء على هرم الدولة الإسلامية لأطول فترة ممكنة.

لقد كان للأحداث الكبرى التي مرت على الأمة الإسلامية، مقتل عثمان وموقعة الجمل ومعركة

إِنِّي أَمْرُؤٌ مُّضَرِّيٌّ فِي أَرْوَمَتِهَا لَنْ تَسْتَطِيعَ
مُسَامَاتِي وَإِخْطَارِي (جرير، د ت، صفحة
235_234)

يصور جرير الاعتزاز بالانتساب إلى تميم في أبيه صورة مفعمة بالفخر، جاعلا منها مرتكزا نفسيا يستمد منه المجد والعزة والشموخ. وفي الوقت نفسه يحط من قيمة التغلبيين قوم الأخطل، مدعيا أن تميميا هي التي أَجَلَّتْ تغلب قسرا عن أعالي نجد التي كانت تأوي بيوتهم التي يقطنونها. وأرغمهم على النزوح إلى صحراء شمالي نجد. وربما لم يكونوا يعلموا أن تلك الأرض بجوار الفرات.

إن ما يعنينا هنا ليس فخر جرير، ولا هجاؤه الأخطل، وإنما فكر الأمويين القائم على الإغراء بين الشعراء والإيقاع بينهم وتحريضهم على بعضهم. فما يقال في مجالس الخلفاء ينقل على ألسنة الرواة ويشيع بين القبائل، ليفعل فعلته فيما بينهم. ثم يأتي بعد ذلك دور الأمويين في لعب دور إخماد الفتنة وتقريب هذا وإبعاد ذاك، بما يتوافق وسياساتهم. ضف إلى ذلك أن تميميا كانوا إحدى القبائل القوية التي ساندت البيت الأموي، بينما غلب على التغلبيين هوى العراق الذي كان يميل إلى علي تارة وإلى الخوارج أخرى.

أمر آخر يعد من مثالب بني أمية، وهو كون جرير شاعرا مسلما له ما للمسلمين وعليه ما عليهم. أما الأخطل فنصراني تسري عليه أحكام الذمي، إلا أن هذا لم يمنع عبد الملك بن مروان وغيره من الخلفاء من تقريبه وإدناؤه منهم، ولو أن الأمر وقف هنا لكان هينا يسيرا، غير أنه استفحل واستشرى. ووصل الحد بهم لتركه يسلس لسانه حادا على الأنصار في قصيدته التي مطلعها:

سَتَأْبَى بَنُو عَمْرٍو عَلَيْكَ وَيَنْتَبِي لَّهُمْ حَسَبٌ فِي
جِذْمِ غَسَّانٍ مُّعْرِقٍ
فَإِنَّكَ لَا عَمْرَأَ أَبَاكَ حَفِظْتَهُ وَلَا النَّظْرَ إِنْ
ضَبَعْتَ شَيْخَكَ تَلَحَّقَ

وَلَمْ تُدْرِكِ الْقَوْمَ الَّذِينَ طَلَبْتَهُمْ فَكُنْتَ كَمَا كَانَ
السِّقَاءُ الْمُعْلَقِ (الأحوص الأنصاري، 1990،
صفحة 202-203).

يرى الأحوص في هاته الأبيات أن كثيرا أضاع نسبه القرشي ولم يبر به. ولذلك فهو لم يتخلق بأخلاق أجداده (كعب والصلت) ولم يلحقهما فبقي معلقا كالسقاء. وفي هذه الأبيات فخر مبطن، إذ يروم من ورائها الأحوص من خلال انتسابه للأوس أنه أفضل من كثير. فقوم الأحوص هم الأنصار الذين آووا الرسول ﷺ، في حين أن قريشا قوم كثير هم الذين خذلوه وأخرجوه.

ومن صور الاعتزاز بالنسب والفخر بالقوم قول جرير الذي يعد أحد رؤوس الشعراء الذين سلوا سيوف شعرهم في سبيل نصرة البيت الأموي ومؤازرته:

قَوْمِي تَمِيمٌ هُمْ الْقَوْمُ الَّذِينَ هُمْ يَنْفُونَ تَغْلِيضَ
عَنْ بَحْبُوحَةِ الدَّارِ

النَّازِلُونَ الْجَمَى لَمْ يُزِعْ قَبْلَهُمْ وَالْمَانِعُونَ
بِلَا حِلْفٍ وَلَا جَارٍ
وَالْحَيَّ قَيْسٌ بِأَعْلَى الْمُجْدِ مَنَزَلَةً فَاسْتَكْرِمُوا
مِنْ فُرُوعِ زَيْدِهَا وَارِي

قَوْمِي فَأَصْلُهُمْ أَصْلِي وَفَرْعُهُمْ فَرْعِي
وَعَقْدُهُمْ عَقْدِي وَإِئْزَارِي

رواسب ومخلفات الجاهلية حالت شيئا ما دون صفاء النفوس وتخلصها من آلام وآهات الفقد واليتم والترمل. وبرغم أن الأمر كان يتطلب وقتا أكبر، إذ بالأمّة تتفاجأ بتجدد النزاعات والخصومات في هذا العصر. وكان لزاما على الخلفاء الأمويين أن يتلافوا هذا الأمر، حفاظا على وحدة الأمّة، بما أنهم ولاة أمرها.

إن مما لا شك فيه أن القبائل العربية كانت تنظر إلى قريش على أنها سنام العرب ومرمى النظر وذروة الشرف، فإذا بها ترى الصراع يحتدم على الخلافة بين بطونها. فمنذ النصف الثاني من حكم الخليفة الراشد عثمان بن عفان ط بدأت القلاقل والنزاعات التي أفضت إلى مقتله وتولي الإمام علي ط الخلافة من بعده، في الوقت الذي لم يكن لدى الأمويين أدنى استعداد للتخلي عن مكتسباتهم من أيام الخليفة ذي النورين ط .

ومثل هذا الصراع يفتح الباب لكل عداوة وخصومة. (المقريزي، 1988، صفحة 10) وهو الأمر الذي أراد استغلاله بنو أمية أحسن استغلال لما آلت إليهم مقاليد الأمر، من خلال تجنيد شعراء حزبهم الذين يعدون بالعشرات إن لم نقل المئات للدفاع عن خلافتهم. فالمتصفح لكتب الأدب والتاريخ العربي يجدها مكتظة عن آخرها بذكرهم، وذكر أشعارهم التي تعج بشتى أنواع صور الأحقاد والضغائن المتأصلة في الأنفس. والتي أجبتها دماء الجاهلية، وفي ذلك يقول الأخطل:

إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ صَالَحْتُ بَكْرًا أَبِي الْأَضْعَانِ
وَاللَّسْبُ الْبَعِيدُ
وَأَيَّامَ لَنَا وَلَهُمْ طِوَالٍ يَعْضُ الْهَامُ
فِيهِنَّ الْحَدِيدُ

لَعَنَ الْإِلَهُ مِنَ الْيَهُودِ عِصَابَةً بِالْجَزَعِ بَيْنَ
جُلُجْلٍ وَصِرَارٍ

خَلُّوا الْمَكَارِمَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا وَخُذُوا مَسَاحِيكُمْ
بَنِي النَّجَّارِ (ابن عساکر، 1995، صفحة 298)

وقد غضب معاوية رضي الله عنه أشد الغضب من الأخطل لولا أن تدخل ابنه يزيد وهدأ من روعه. لقد تناسى الأمويون في لحظة تيه الملك مكانة الأنصار وقرهم من الرسول ﷺ، فتجاوزوا عقيدة الولاء والبراء، وهي أحد شروط الإيمان. أليس يقول الله تعالى: (تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثَبِّتَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) [سورة المائدة 80-81].

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن الإنسان لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى الله عنه (ابن تيمية، الاحتجاج بالقدر، 1986، صفحة 62)

ب/ العداوات والضغائن القبلية:

تركت الدماء والثارات التي لم تؤخذ أحقادا كبيرة بين القبائل، طال أمدها ولم تنطفئ جذوة نارها. وهذا الشعور متجذر في نفسية الرجل العربي المتعصب لقومه، الحاقد على القبائل المعادية. وبرغم أن الإسلام لما جاء جبّ ما قبله، وعمل على هدم هذه الأحقاد والضغائن، وتصفية النفوس من الغل الدفين، ووضع الدماء. بيد أن

هُمَا أَخَوَانِ يَصْطَلِيَانِ نَارًا رِذَاءُ الْمَوْتِ
بَيْنَهُمَا حَدِيدُ (الأخطل، 1994، صفحة 29)

يقر الشاعر التغلبي في هاته الأبيات ابتعاد بني العمومة - تغلب وبكر - كل البعد عن أي محاولة للصالح برغم صلة النسب الجامع بينهما. فالقاتل جساس بن مرة البكري هو صهر - أخ الزوجة - القاتل كليب بن ربيعة التغلبي. ثم يذكر الأيام الطوال التي دارت فيها رحى الحرب لأربعين سنة أنت فيها على الشيب والشبان. وأفنت فيها خيرة الفرسان. ومما دل على عمق الجرح تصوير الشاعر للحيين بأنهما أخوان يذيقان بعضهما بأس بعض، ولا رداء يجمعهما إلا رداء الموت.

والأخطل هو أيضا صاحب البيت الذي أصبح مضربا للمثل في عودة الضغينة وخروجها من مكمنها بعد تواربها لمدة من الزمن. ففي القصيدة التي يمدح فيها عبد الملك بن مروان، لم يستغ تقرب هذا الأخير لزفر بن الحارث القبسي، وقد كان أحد ألد أعداء الأمويين. حيث كان زبيري الهوى، فقال:

بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ فَلَا يَبِينَنَّ فِيكُمْ
أَمِنَّا زُقَرُ
وَأَتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنْ شَهِدَهُ وَمَا تَغِيبُ مِنْ
أَخْلَاقِهِ دَعَرُ

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدِمَتْ كَالْعَرَّ يَكْمُنُ
جَبِئًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ (الأخطل، 1994، صفحة 106)

يقر الأخطل في البيت الأخير أن الضغينة والحقد يكمنان في أعماق النفس البشرية، ينتظران الفرصة السانحة ليطلا كراس الأفعى تنفث سموم الكراهية وتثير كوامن ثارات الجاهلية.

صورة أخرى من صور الحقد الدفين على لسان أحد الشعراء، تمثلت هاته المرة في حسد قريش لاستثنائها بأمر الخلافة دون غيرها من القبائل، يقول :

تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَاتَّقَتْ ... بِنَا كُلَّ فَجٍّ مِنْ
خُرَاسَانَ أَغْبَرَا

فَلَيْتَ قُرَيْشًا أَصْبَحَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ ... تَوْمُ هِيَ مُوجًا
مِنَ الْبَحْرِ أَكْذَرَا (المرزوقي، 2003، صفحة 1059)

والبيتان لرجل مجند، أشقاه البعد عن أهله، والتبرم من وضعه، فصب جام غضبه على قريش، التي يرى أنها استأثرت وتفردت بالتنعم والتلذذ بطيب العيش، ومعافسة الأهل والأولاد، بينما ترمي بأبناء القبائل الأخرى رميا لا راحة معه. رميا إلى المفاز، والقفار، والمعارك، والرباط على تخوم بلاد الإسلام، فهو يتمنى لها صبيحة يصحبها فيه بحر كدر متلاطم الأمواج، يجرفها إلى قاعه، فيريح منها البلاد والعباد.

لقد غض بنو أمية الطرف عن عودة الأحقاد والضغائن. فعملوا على ترك الخصومات بين القبائل وعدم رأب الصدع بينهم، ولم يعملوا على إكمال رسالة الإسلام على أكمل وجه - اللهم ماعدا الخليفة عمر بن عبد العزيز - وإتمام صرحه الذي أسس له الرسول ﷺ، بإحلال القيم الفاضلة من عفو وتسامح وإخاء وتناس للماضي الدموي بين القبائل والبطون والأجذام. ومن صور الأحقاد والضغائن التي ما فتئت تخرج للعلن حالة الهيجان التي كان عليها يزيد بن معاوية في موقعة الحرة. والتي تلت مقتل الحسين T. فبعد المقالة التي نسبت لعبد الله بن الزبير: " أما والله لقد قتلوه - يعني الحسين T - طويلا بالليل قيامه،

وهناك، بشكل أو بآخر. ومن تجليات هذه الرغبات الدفينة في الصدور، شماتة أحد شعراء ربيعة ممن كان بعض النقاد يرى أنه يتبنى بعض آراء الخوارج. وقيل أنه قد رجع عنها، ويدعى شُبَيْل بن عزة الضبي في قوله :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قُرَيْشُ
خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ (الجاحظ، 1998، صفحة 265)

وذلك حين انهزم سليمان بن هشام وفر هارباً إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق. فخرج معه إلى الضحاك بن قيس الشيباني - وكان من علماء الخوارج في العراق آنذاك - وبإيعاه. وحرضه على مروان بن محمد. وهو ما جعل هذا الشاعر يرى بأن هذا خضوع من قريش ليكر بن وائل. وليس هذا بالأمر الجلل الذي يخشاه بنو أمية، مادام يطرب له البكريون، ولا يجنون من ورائه سوى لحظات الاعتزاز تلك. التي يعرف الأمويون كيف يمتصون بها الغضب. ويسلّون سلاً تلك الرغبات الدفينة من ثنايا الصدور.

ج/ التحالف القبلي:

ترتكز بنية المجتمع العربي كما هو معلوم على نظام العشيرة. واتحاد مجموعة من العشائر يشكل القبيلة. هاته الأخيرة بانتلافها مع قبائل أخرى تشكل ما يسمى الجذم. وقد ساعد هذا النسيج القبلي المتلاحم فيما بينه على مستويات دنيا والمتناحر على مستويات عليا الدولة الأموية في بداياتها. فقد شاع عنها أنها كانت تنظر نظرة رضى إلى الفتن القبلية التي ثارت في مستهل عهدها (إحسان النص، 1973، صفحة 243). وكانت تسعى دوماً إلى إثارة النزعات بين القبائل كوسيلة إلهاء عن الالتفات إلى أمور الحكم. إلا أن هذا

كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم، و أولى به في الدين و الفضل، أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء، و لا بالبكاء من خشية الله الحداء، و لا بالصيام شرب الحرام، و لا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد - يعرض يزيد - فسوف يلقون غيا " (العش، 1985، صفحة 173) قام يزيد بانتداب مسلم بن عقبة أحد رجالات الحكم الأموي المخلصين لمحاربة عبد الله بن الزبير. وعند مروره بالمدينة اعترضه أهلها، ووقعت بينهم موقعة الحرة، فتمثل يزيد قول ابن الزبيرى، مستحضراً موقعة بدر وكأنه يرثي صرعى قريش قائلاً:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ
مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ وَقَتْلَنَا الضَّعْفَ مِنْ سَادَاتِهِمْ
وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ (الطبري، دت، صفحة 96)

يظهر من خلال المعنى العام للبيتين أن يزيد قد فرح بمصرع الانتصار انتقاماً منهم، لنصرتهم بني هاشم الذين صاروا أجداده من بني أمية في معركة بدر فصروعهم. وإن دل هذا على شيء فلا أقل من أن يكون موقف رجل متعصب لقومه، يكن حقداً دفيناً، إرتشفه من أهله وشبَّ عليه. ثم ما لبث أن ظهر في فلتة من فلتات اللسان، التي تنم عن دخيلة الإنسان. وليس هذا من شيم المسلم العامي، ناهيك عن رجل تبوأ الخلافة العامة للمسلمين.

لقد سلّمت العرب بأن أمر الخلافة في قريش بنص الحديث الشريف، لذلك لم تنازعها القبائل العربية - لاسيما الكبرى - هذا الأمر. وتركوه سجالات بين بني هاشم وبني أمية. غير أن بعض التشوّف والتطلّع يطل برأسه أحياناً من هنا

وممن مدح آل المهلب بن أبي صفرة أيضا الشاعر حمزة بين بيض البكري، وقد كان منقطعا لهم، إذ أصفاهم مديحه وثناءه، حيث يقول في إحدى قصائده، يمدح فيها مغلد بن يزيد بن المهلب:

وَأَبْيَضَ هَلُولٌ إِذَا جِئْتُ دَارَهُ كَفَانِي وَأَعْطَانِي
الَّذِي جِئْتُ أَسْأَلُ

وَيَعِيبُنِي يَوْمًا إِذَا كُنْتُ عَاتِبًا وَإِنْ قُلْتُ زِدْنِي
قَالَ حَقًّا سَأَفْعَلُ

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ تَطْلُبُ النَّدَى كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ
الَّذِي جِئْتُ تَسْأَلُ

فَلَّهِ أَبْنَاءُ الْمُهَلَّبِ فِتْنَةً إِذَا لَقِيتَ
حَرْبٌ عَوَانَ تَأْكُلُوا (الشايب، 1976، صفحة 350_351)

لم ير الأمويون بأسا في أن يمدح أحد الشعراء رجلا ذو مكانة وسمعة في قومه، أو مدح قبيلة ذات شأو وبأس. وكانوا يرون هذا الأمر من باب تألف القلوب وكسب المودة. كما أن غض الطرف عن مدح الشعراء لغيرهم يُحسب لهم لا عليهم.

لقد قدر خلفاء بني أمية أيضا أن من الكياسة والسياسة إحداث توازن بين الأجدام والقبائل. وقد علموا بأن هذا الأمر لن يتأتى إلا بالسماح بعودة الأحلاف القبلية الجاهلية. وهنا تجلّى دهاء الساسة الأمويين في موقف زياد بن أبيه الذي عرف عنه مقته الشديد للعصبية القبلية واشتداده في محاربتها. لكن موقفه هذا لم يمنعه من الالتجاء إليها حين اضطرت الظروف لتحقيق بعض المآرب السياسية (إحسان النص، 1973، صفحة 243). فلكي يثير حماسة الأزد لنصرته

الفعل لم يكن دوما مأمون العواقب. فقد استعرت نار العصبية القبلية واشتدت لدرجة قَرَبَتْهَا من التفُّت من قبضة الحكم الأموي. غير أن تمرسهم بالسياسة من أيام الجاهلية جعلهم يتألفون بعض رؤوس القبائل بالمال والهبات، وخضد شوكة البعض الآخر وتجريده من سلطانه القبلي، فكان هذا الترغيب والتهديد من أنجع الوسائل في مسك زمام العصبية وتوجيهها لمصالحهم، حتى استقام لهم الأمر حيناً من الزمان.

وإن مما لا شك فيه هو أن الفرد هو أصل الجماعة. لذلك فإن كل تحالف قبلي كان منشؤه قائما على التحالف الفردي. وقد تجلّى ذلك واضحا في تقرب بني أمية لأسرة آل المهلب من قبيلة الأزد اليمنية. والتي تمكنت من الظفر بمكانة اجتماعية مرموقة، نتيجة لكرمها، وبسالها في محاربة الأزارقة. وقد أضرب خلفاء بني أمية صفحا عن مدح الشعراء لآل المهلب - ماداموا تحت عباءة الأمويين وأوفياء لخدمتهم - فهذا ثابت قطنة يمدح يزيد بن المهلب بصفات الكرم والشجاعة منذ نعومة أظافره فيقول:

كَمْ مِنْ كَيْفٍ فِي الْهَبَاجِ تَرَكْتُهُ هَيَوِي
لِفِيهِ مُجَدَّلًا مَقْتُوَلًا

جَلَلَتْ مَفْرِقَ رَأْسِهِ ذَا زَوْنِقٍ عَضْبٍ
الْمَهْرَّةَ صَارِمًا مَصْقُولًا

قُدَّتِ الْجِيَادُ وَأَنْتَ غَرٌّ يَافِعٌ حَتَّى
اَكْهَلْتِ وَلَمْ تَزَلْ مَا مُوَلًا

كَمْ قَدْ حَرَيْتِ وَقَدْ جَبَرْتِ مَعَاشِرًا وَكَمْ
إِثْنَنْتِ وَكَمْ شَقَيْتِ غَلِيلًا (الأصفهاني، 2008، صفحة 169)

على بني تميم، أخذ يضرب على وتر العصبية، ويثير في نفوس مجيريه حمية الجاهلية وروح الاعتزاز القبلي .

وفي هذا الصدد يذكر أبو الفرج في أغانيه أن ربيعة واليمن تحالفتا أثناء ولاية المهلب وبنيه. وقد ذكر هذا الحلف نهار بن توسعة في قوله:

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبَ لِلْغَيْىِ وَمَاتَ
النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمُهَلَّبِ

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِبِعْمَةٍ عَلَى النَّاسِ
قُلْنَا وَلَمْ نَنْهَبْ

أَبَاحَ لَنَا سَهْلَ الْبِلَادِ وَخَزَنَهَا بِخَيْلٍ
كَأَرْسَالِ الْقَطَا الْمُسَرَّبِ

تَطِيفُ بِهِ قَحْطَانٌ قَدْ عَصَبَتْ بِهِ وَأَخْلَفَهَا
مِنْ حَيٍّ بِكَرٍ وَتَغْلِبِ (ابن قتيبة الدينوري، 1967، صفحة 538)

ثم يذكر أبو الفرج أن هذا الحلف من قبائل اليمن الأزدية وقبائل ربيعة أراد النكت لأمر استبسطها عليهم المهلب، ثم ما لبثوا أن استرضاهم بأمر من الخليفة الذي قَدَّر أن هذا الحلف سيكون له شأن في مواجهة قبائل مضر. لا سيما في البصرة التي كانت إحدى بؤر التوتر في العصر الأموي.

ومن الأحلاف الجاهلية التي تم إحيائها وبعث دماؤها من جديد حلف تميم وكتب. فبرغم أنهما كانتا مواليتين للبيت الأموي، غير أن ذلك لم يمنع الخليفة من ترك الحلف يتجدد لئلا تنحو القبيلتان منحى لا يوافق توجه السياسة الأموية. وممن خلد ذكر هذا الحلف في قصائده الفرزدق، حيث يقول:

لَقَدْ وَثَبَ الْكَلْبِيُّ وَثْبَةً مَا جِدِ
خَلَقَ اللَّهُ نَفْسًا وَعَنْصُرًا

أَبَى حَلْفُ كَلْبٍ فِي تَمِيمٍ وَعَقْدِيهَا
سَنَّتِ الْآبَاءُ أَنْ يَتَغَيَّرَا (البلاذري، 1996، صفحة 81)

ومن صور التحالفات التي تشكلت كضرورة لإحداث التوازن القبلي، الذي يضمن الاستقرار للبيت الأموي داخل البصرة، ما حدث بين قيس وتميم من إعادة بعث لروابط الحلف الذي كان في الجاهلية. وفيه يقول الفرزدق:

أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ شَمَرَتْ
وَحَاطَتْنِي هُنَاكَ قُرُومُهَا

فَقَدْ خَالَفَتْ قَيْسٌ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ
فَهُمْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَمِيمُهَا

وَعَادَتْ عَدُوِّي أَنْ قَيْسًا لَأُسْرَتِي وَقَوْمِي
إِذَا مَا النَّاسُ عُدَّ قَدِيمُهَا

لَنَا الْمِنْبَرُ الْعَرِيُّ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ
يَدِينُ لَهُمْ جُبَالُهَا وَحَلِيمُهَا (إيليا الحاوي، 1983، صفحة 389)

يكيل الفرزدق المديح لقبائل قيس عيلان، من جهة تعريضاً بخصمه اللدود جرير، وإمعاناً في إذلاله. ومن جهة أخرى تثميناً لهذا الحلف القوي، الذي جمع اثنين من أكبر القبائل العربية، والتي ستشكل جبهة قوية ضد القبائل المضربة ذات الهوى الهاشمي، لا سيما في أرض العراق أين كانت المعارضة للأمويين على أشدها.

4. خاتمة:

بعد تنقيب وبحث هنا وهناك في بطون الكتب التي تعج بأخبار الدولة الأموية، وسياساتها،

- ❖ استعمل بنو أمية العصبية القبلية كمطية لبلوغ أهدافهم بتقريبهم لبعض القبائل وإبعادهم لأخرى.
- ❖ كان لشعر التعصب دور كبير في تجديد بعض الأحلاف القديمة بين القبائل الكبرى. وكان دور الخلفاء والولاة هو السماح لهذه الأشعار بالانتشار، خدمة للتوازنات التي يريدها الأمويون .
- ❖ يتجلى من خلال البحث أن عودة العصبية التي نهى الإسلام عنها كان بإرادة أموية وبنيكة سياسية.
- ❖ كرس الحكم الأموي أفضلية العرق العربي رغم مساواة الإسلام بين كل الأجناس والأعراق، حيث لم يظهر ولا أثر لأي تكتل عرقي غير عربي.
- ❖ مثلت عودة التعصب إلى القبيلة وإلى العرق انقلابا حقيقيا على قيم الدين الإسلامي الذي نبذ كليا التعصب لغير دين الله.
5. قائمة المراجع:
- القرآن الكريم:** رواية حفص عن عاصم.
- سلامة (إبراهيم): 1954، خلق ودين . دراسات اجتماعية أخلاقية . مكتبة مصطفى بابي الحلبي، مصر.
- ابن عساکر: 1995، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، لبنان.
- الدينوري (ابن قتيبة): 1967، الشعر والشعراء، دار المعارف، مصر.
- ابن منظور: 1992، لسان العرب، دار صادر، لبنان.
- الأصفهاني (أبو الفرج): 2008، الأغاني، دار صادر، لبنان.
- ورجالاتها وشعرائها، وما قيل فيها وما قيل عنها. وصل البحث إلى مجموعة من النتائج، والتي تبقى وجهة نظر البحث؛ إذ لا يمكن الإلمام بالأمر من كل مناحيه ولا القبض على الحقيقة المطلقة، لا سيما والدراسة تخص عصرا موعلا في القدم، ولا تستقي معلوماتها إلا من الكتب والأشعار، التي تمثل حتما وجهة نظر قائلها. وما علينا نحن سوى الدراسة والتحليل والمقارنة والاستنتاج. وعليه فقد خلص البحث إلى مجموعة نتائج نلخصها فيما يلي:
- ❖ العصبية القبلية طبيعة إنسانية مركوزة في النفس البشرية، حيث تمثل إحساسا بالانتماء الذي يجعل الإنسان يحس بالأمان الذي هو أحد أهداف الحياة البشرية.
- ❖ مما خلص إليه البحث هو أن العصبية القبلية كانت أحد أهم الدوافع والبواعث النفسية لقول الشعر.
- ❖ أثناء خوض غمار التنقيب حول موضوع العصبية في بطون كتب النثر والشعر الأموي، توصل البحث إلى أن للعصبية القبلية روافد عديدة تغذيها، وتنفع دوما في جمرتها؛ كي تبقى ملتهبة، تفور في الصدور. ولعل أحد أهم هذه الروافد الاعتزاز بالنسب.
- ❖ عالج الإسلام قضية التعصب للعرق، ابتداء بإحداث خلخلة على مستوى الفكر الإنساني، وثنية بإعطاء البديل الأنسب لهاته الميول الغريزية.
- ❖ لم يكن الأمر سهلا للرجل العربي في التخلي عن العصبية لقومه؛ حيث يتطلب الأمر تهذبا كبيرا وتذكيرا دائما. والدليل أن فورة دم التعصب حدثت بين المسلمين أنفسهم والرسول ﷺ بين ظهرانهم .

- أبو داود (سليمان بن الأشعث): 2009، سنن أبي داود، دار الرسالة العلمية، سورية.
- لنص (إحسان): 1973، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار الفكر، لبنان.
- ابن حنبل (أحمد): 2001، المسند، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، لبنان.
- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): 1986، الاحتجاج بالقدر، لبنان.
- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): 2004، مجموع فتاوى ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية.
- المرزوقي (أحمد بن محمد): 2003، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتب العلمية، لبنان.
- البلاذري (أحمد بن يحيى): 1996، كتاب جمل من أنساب الأشراف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.
- الحاوي (إيليا): 1983، شرح ديوان الفرزدق، دار الكتاب اللبناني، لبنان.
- الشايب (أحمد): 1976، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، دار القلم، لبنان.
- المقرئ (تقي الدين): 1988، كتاب النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، دار المعارف، مصر.
- الجريسي (خالد عبد الرحمان): د ت العصبية القبلية من منظور إسلامي، المملكة العربية السعودية.
- الأخطل: 1994، الديوان، دار الكتب العلمية، لبنان.
- جرير: الديوان، د ت، دار المعارف، مصر.
- الأنصاري (الأحوص): 1990، شعر الأحوص، تح عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، مصر.
- ابن خلدون (عبد الرحمان): 1981، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.
- الصلابي (علي محمد): 2008، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، لبنان.
- الجاحظ (عمرو بن بحر): 1998، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، مصر.
- وهبة (مجددي) والمهندس (كامل): 1984، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان.
- الأزهري (محمد بن أحمد): 1964، تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- الطبري (محمد بن جرير): د ت، تاريخ الطبري، دار المعارف، مصر.
- الجابري (محمد عابد): 1992، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- الزبيدي (مرتضى): 1972، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
- مسلم بن الحجاج: د ت، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، لبنان.